كتاب فرنسا

تعاون بعض مشاهير الكتاب الفرنسويين والانكليز على اصدار كتاب يشتمل على عدد من المقالات يدبجونها في موضوعات شتى خاصة بهذه الحرب ثم يقفون ثمنهُ على مساعدة البلاد الفرنسوية التي يحتلها الجيش الالماني الآن فيضاف المال الذي يباع هذا الكتاب به الى اموال اللجنة البرلمانية التي اختيرت لهذه الغاية . وقد سمي «كتاب فرنسا» وهو صغير الحجم اصدرهُ في انكلترا المس ونفريد ستيفنس بعد ان عهدت في ترجمة مقالاته الفرنسوية الى نفر من مشاهير المترجمين

افتتح بمقالة من قلم المستر هنري جيمس الكاتب الانكليزي الشهير في اطراء فرنسا وبيان منزلتها من عالم الحضارة والعمران . وتليها مقالة قصيرة بقلم المسيو روسني الفرنسوي في اخلاق الانكليز وسياستهم . وقد بيّن فيها مزايا الامة الانكليزية وعيوبها بقلم رشيق جمع بين الكياسة والصدق . ثم مقالة في اخلاق الالمان بقلم المسيو رينه بوالسف فصّل فيها العقل الالماني وشرحهُ تشريحاً معنوياً خالياً من الهوى

على ان احسن ما في الكتاب مقال بقلم اناتول فرانس الفنيّ عن التعريف عنوانها « هلم الى الحرب الاخيرة » . ومما جاء فيها قولهُ :

« لقد تحقق كلّ ما تشاءم به المتخرّصون من علمائنا وصحّ كلّ كابوس رأوهُ في احلامهم وجاءت تلك الكبائر المحدقة بنا شرّاً مما رأى احد شعرائنا في « مملكة البلاء والشقاء » . ولم تجئ عن يد اهل المريخ النائين عنّا بل عن يد اساتذة المانيا القريبين منّا . فقد ألبسوا هذه الحرب لبوساً شتى تشهد بما فطروا عليهِ من الشرّ . فمن سيول النار الى حرب الكهوف الى مخالب الغاز السامّ

اكتب هذا وقد وقف بجانبي دكتور فيلسوف يقرأ ما اكتب . فلما انتهيت الى هذا الحدّ قطع عليّ الفكر وقال : اعلم انهم متى عدلوا عن هذه الطريقة الاخيرة يعمدون الى حرب المكروبات فنضطر ان ننشئ في كل بلد وزارة لفصل المضاد للالمان . الى هذا كلهِ ادّى بهم علمهم . ولقد صدق رابليه حيث قال « العلم بلا ضمير لعنة » . وختم مقالهُ بهذه العبارة :

« اما انتِ يا بريطانيا ملكة البحار ومحبة العدل . وروسيا الجبارة ذات القلب الحسّاس الرقيق . وايطاليا الجميلة التي يعبدها قلبي . والبلجيك البطلة الشهيدة . والصرب ذات الانفة والعزة . وفرنسا وطني العزيز — وانتنّ ايتها الامم اللواتي تعددن السلاح لمعاونتنا —

فاختفن هذه الهيدرا (١) واقضين عليها القضاء المبرم تفترّ ثغور كنّ غداً وتتصافحن من طرف اوربا الى طرف بعد ان تنقذنها من الوبال »

ثم مقالة اخرى لمسيو رميه دي جورمون وصف فيها البلاد التي يراد اغاثتها وصفاً يسترعي الاسماع ويستميل القلوب حنانًا . وبعدها مقالة لبيير لوتيه عنوانها « شبح الكنيسة » وصف بها اطلال كنيسة ريمس وصفاً ينطبق كلّ الانطباق عليها بعد الذي نالها من مدافع الالمان . قال :

« ولا اهول من ان يفكّر المرء في الوحشية الموسومة بالجبن وخلو الراس من الدماغ — تلك الوحشية التي قضت بقذف القنابل تباعًا على بناء لهُ نسيج من النقوش كالحبك في دقته ورقته وقد مضت عليه القرون وهو يشمخ الى السحاب وعصفت حولهُ رياح المعارك والغارات وثارت الزوابع ولكنها لم تمسهُ بسوء . وقد حملهم على ارتكاب تلك الفعلة الشنعاء ما في طبعهم من السوء مضافًا اليهِ خرافة استحكمت في صدورهم

على ان ما لا يعوّض من تلك الخسارة هو فقد ما كان في نوافذ الكنيسة من الزجاج ذي النقوش والرسوم التي جادت بها مخيلات المصورين والنقاشين في القرن الثالث عشر وهم ثملون بخمرة احلامهم الدينية ويبنها صور قديسين وقديسات اتشحوا بالحلل الفائضة نوراً وحول رؤوسهم هالات تتدفق سناء واشراقًا . كذلك التماثيل البديعة التي تطايرت شظاياها في كل جهة تحت وابل القنابل وضاع ما فيها من الالوان الجميلة بين ذهبي واحمر وازرق

في ذمة الالمان ما راح من الزجاج الشفاف الملون بالوان قوس قزح وصور القديسين والقديسات ذوي الوجوه الصبيحة . لقد اندثرت وتناثرت شظاياها في ارض الكنيسة وهي تضيء كانها فرائد اللآلئ »

وتلي هذه المقالة مقالة لمدام دكلو عنوانها « ما وراء النصر » وقد وصفت فيها العواطف المتضاربة التي تناوشت الفرنسويين في شهر ايلول سنة ١٩١٤ وما دبّ في صدور نساء « ملون » من الروع عند ظهور الالمان فجأة في ساحة مدينتهم وهم يعزفون على آلاتهم الموسيقية . قالت « وسألت جنديًا انكليزيًا حينئذٍ كيف الحال هل هناك خطر كثير ؟ . فاجابني قائلاً « ان الحال على هذا المنوال — المكان غاص بالجنرالية وقد لاحظت انهُ حيث يكثر الجنرالية يقلّ الخطر لسبب لا ازال اجهلهُ » . وسألت جنديًا اسكوتلنديًا عمّا يجري . فقال سمعت « ان الالمان رُدّوا قليلاً » . وكانت هذه الاشارة اول ما سمعت عن نتيجة معركة المارن

(١) الهيدرا اسم مائية ذات رؤوس صديدة اذا قطع راس منها نبت مكانهُ آخر . وعليهِ اعطوا هذا الاسم لكل آفة كثيرة الاصول والفروع